الاب يرفض ان يتقاعد

بقلم : يحيى يخلف

- ١ -

منحت جائزة اللوتس هذا العام لشاعر فلسطين الكبير عبد الكريم الكرمي « ابو سلمى » ٠

وقد فرحنا لهذا النبأ كما يفرح الاطفال ، فأبو سلمى جزء من التاريخ الحضاري الحديث للشعب الفلسطيني ، وهو قيمة ثقافية كبيرة ٠٠ كبيرة وثمينة مثلما اواني الفخار في خربة قمران ، ومثلما النقوش العربية على جدران قصر هشام في أريحا ٠

يكتب منذ خمسين عاما دون أن ينحني لزعيم او سلطان ، يشمخ بكبرياء مثلما النسور التي تحلق فوق ذرى جبل القرنطل ، وفي قصائده توغل رائحة الليمون ، وتلمتع أنصال السيوف العربية ٠

فرحنا من الاعماق ٠ فهذا الاب الطيب يجد اخيرا الانصاف ٠ هذا الاب الرقيق ، الذي اصبح شيخا ابيض الشعر ، والذي ما زال يشارك في الثورة ويرفض ان يتقاعد ، يفوز بجائزة اللوتس التي تعطى للادباء التقدميين الذين قدموا اضافات الى تراث الانسانية ، ويجد التكريم ، فتصبح زهرة اللوتس نيشانا على صدر الثقافة الفلسطينية ٠

فرحنا من الاعماق ٠

كأنما اصبح التكريم شيئا لا يصدق ٠

وكأنما تأكد لنا من جديد ، أن للاديب الفلسطيني حقوقا يجب ان تحفظ ، وكرامة يجب ان تصان ٠

وربما اصبح من حقنا أن نستهجن ما ينال بعض كتابنا من أذى!! وربما اصبح من حقنا أن ننظر بدهشة الى حالة التحنيط التي تعيشها المؤسسات الثقافية لثورتنا ازاء تشجيع الابداع الشاب ، وتقدير اشجار الزيتون الكبيرة ٠

- ٢ -

ذات مرة كتبت عنه كلمة صغيرة على غلاف واحدة من مجلاتنا الشهرية ٠

قرأها ، فترقرقت في عينيه دمعة ٠ وقال لي : ليس هنالك صراع اجيال في الادب الفلسطيني ، أنتم أوفياء ايها الشباب ، وقد كنا كذلك عندما كنا شبانا مثلكم ، فاحترمنا أدباء الرعيل الاول ٠

وأشهد انه صادق ، وانه ما زال وفيا لادباء ومفكري الرعيل الاول حتى الآن ٠

فمنذ ثلاث سنوات وهو يلاحق وينقب عن آثار العالمين الفلسطينيين بندلي الجوزي وكلثوم عودة ، اللذين هاجرا من فلسطين الى الاتحاد السوفياتي ، وكان لهما اهمية كبيرة في عالم الاستشراق ٠

وقد كلفه الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، بالسفر الى موسكو من اجل جمع آثارهما ٠

ونتيجة للجهود الكبيرة التي بذلها ابو سلمى ، تتوفر الان معظم مؤلفاتهما مصورة على أشرطة وتحفظ في مركز الابحاث ٠

- ٣ -

منذ شهرين توفيت زوجته ٠ توقف قلبها عن الخفقان وهي التي كانت نافورة فرحه ٠

عاشت معه وتحملت الايام الصعبة ٠

وعندما كنت ازورهما في المنزل الذي استأجراه في دمشق ، والذي اقام مالكه ضدهما دعوى لاخلائه ، كانت لا تتكلم ولا تسأل الا عن الثورة ، وعن الشباب في جنوب لبنان ٠

وحينما كنا نسافر معا الى بيروت او الى احد المؤتمرات ، كانت تلك المرأة النحيلة الطيبة توصينا بأن نهتم بوالدنا ابي سلمى ٠ وكان والدنا يحبها ، ويحنو عليها ، ولا يكاد يصل الفندق الا ويدير قرص الهاتف ، يتصل بها ويطمئنها ٠

مرضت المرأة النحيلة الطيبة فجأة ٠

هل يغفر لي الاب ابو سلمى لو ذكرت انه لم يكن يملك ثمن دوائها ، ومصاريف علاجها في المستشفى ٠

كانت رفيقة حقيقية لمشوار عمره ، ولقد رحلت الان ، وبقي الوالد وحيدا ٠

بعد نكبة فلسطين اصبح الوالد رهين غربة ، وبعد رحيل زوجته اصبح رهين غربتين ٠

ماذا يريد الكاتب الفلسطيني سوى الوطن والديمقراطية والخبز والدواء ؟

ماذا يريد أبو سلمى في شيخوخته الهادئة ؟

لقد وجد التكريم على الصعيد العالمي ، واعتقد ان من حقه علينا ان نقدم له باقة من الحب ٠

في الارض المحتلة ، يكتبون على احد شوارع تل ابيب « صمتا عجنون يكتب » ٠٠٠ عجنون هو احد كتابهم والذي حصل عن طريق الدوائر الصهيونية ونفوذها على جائزة نوبل للآداب ٠ انهم يخترعون اديبا ، لكي يخترعوا ثقافة ٠٠ ليقولوا أن لهم وجها حضاريا ٠ وهكذا يكتبون على لافتة في مدخل الشارع الذي يقطن به اديبهم « صمتا ٠٠٠ عجنون يكتب » ٠

فكيف اذن نكرم ابا سلمى ٠٠٠ كيف نقدم له كسرة حب ، وذرة واحدة من الوفاء ؟

لا نقول حولوا منزل الشاعر الى متحف للثقافة الوطنية واجمعوا مقتنياته واثاره ، فالشاعر لا يملك منزله ، بل هو مهدد باخلائه ٠

ان تكريم (أبو سلمى) يكون في المساهمة بفك اي حصار عن الادب الفلسطيني او الصحافة الفلسطينية والمساهمة في توفير حرية التعبير واحترام الحريات الديمقراطية ٠

ان تكريم (ابو سلمى) انما يكون بتغيير الاساليب المتبعة في التعامل مع الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، وبتكريس الحوار كأسلوب وحيد للتعامل مع رجال الثقافة ٠ وبتوفير كل الوسائل التي تمكن الكتاب والصحفيين الفلسطينيين من الاتصال بالساحة الدولية ، وتمكينهم من انجاز الاتفاقات الثقافية مع الدول الاشتراكية وغيرها من اقوى التقدمية ٠

ان ثورتنا مطالبة بأن تنظر بالتقدير للدور الذي يؤديه الادب الثوري في العملية الثورية ، وفي ابراز الجانب الحضاري لكفاحنا المسلح ٠ ان ثورتنا مطالبة بأن ترصد جائزة تقديرية لاولئك الادباء والمفكرين الكبار الذين ساهموا في صنع ثقافتنا الوطنية ، وان ترصد جائزة اخرى تشجيعية لاولئك الادباء الواعدين الذين سيشاركون في صنع ثقافتنا المستقبلية ٠